

النفس أو التاريخ .. أو غير ذلك من العلوم الإنسانية ، وكل نشاط فكري لا يهدف إلى هذا الهدف ليس عملاً نقدياً ، مهما بدا في ظاهره قريب الصلة بالنقد الأدبي . فالمهم أن تكون المعايير وسيلة فعالة للنفاذ إلى أمرار الجلال في العمل الأدبي ، وإلى خصائص النضج الفني فيه ، فكل معيار يحقق هذه الغايات لإسهام في تراء العملية النقدية ، وإلا فهو نشاط فكري ، قد يزيد معلوماتنا أو يحدد علمنا بها ولكنه لا يكون من النقد الأدبي في شيء .

وإذا كان النقد الحديث يستمد معايير من العلوم الانسانية المختلفة فهل يعني ذلك أن النقد قد صار علماً ، أو أنه في الطريق إلى ذلك ؟

إن مما يطبع النقد الحديث تطوره ليكون علماً ، أما في المستقبل الذي يمكن التكهن به أو الحكم عليه فالنقد لن يصبح علماً ، ولكننا فقط نتوقع منه أن يزداد تدرجاً في الاتجاه العلمي أي نحو تكوين منهجية شكلية ونظام لمعالجة الأعمال الأدبية ، بحيث تكون هذه المنهجية الشكلية وهذا النظام قابليين للنقل والاحتذاء موضوعياً ، كأي تجربة عملية يمكن لأي شخص في أي زمان وفي أي مكان أن يحاكيها ويختبرها ما دام يستطيع القيام بالممارسة الضرورية ، وسيظل الفارق بين العملية النقدية والتجربة العلمية قائماً ، ما دامت هناك مصطلحات مثل « تقويم » العمل الأدبي ، أو « تذوقه » ، فيستطيع الأحق والجلف إذا توفرت لديها الكفاية الأولية أن يصل إلى النتائج التي توصل إليها بويل لو أنها أعاد تجارب هذا العالم ، ولكن هل يستطيع الأحق والجلف أن يقف وقفة كبار النقاد من الأعمال الأدبية وأن يدركا أسرار روعتها وخلودها ؟ إن ثمة حساسية خاصة يتفرد بها الناقد وتموت بموته (١١١) ، هذا أولاً .

وثانياً لكل عمل أدبي - فاضح - شخصية يختلف بها عن سائر الأعمال الأدبية ولهذا فإن المعايير العامة التي تطبق على عملين مختلفين لا بد أن تختلف بما يلائم العمل المنقود ، إلا إذا طبقت في غياب وبرود كما تطبق القوالب الجامدة ، وذلك يعطي عطاءً نقدياً تافه القيمة ، إن كانت له قيمة على الإطلاق .